

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الرابعة - العدد الثالث عشر - ربيع ١٣٩٣ ش / آذار ٢٠١٤ م

ص ١٢٤ - ١٠٣

تدوين المعاجم الفارسية في عصر الكوركانيين المغول في الهند

زرين تاج پرهيزكار*

ايرج مهركي**

مهدي ماحوزي***

الملخص

لم يلق الأدياء والفنانون في العهد الصفوي أيّ دعم أو تشجيع من البلاط الصفوي ممّا أدّى إلى نزوحهم الجماعي إلى شبه القارة الهندية. وبالمقابل كان الترحيب الذي يلقاه المتحدثون بالفارسية والكتاب وجميع الأدياء والفنانين الإيرانيين في الهند والحفاوة التي تستقبلهم بها إمبراطورية الكوركانيين المغول يعطى زخماً لهذا النزوح الجماعي. إنّ نفوذ الثقافة الإيرانية واللغة الفارسية - التي كانت اللغة الرسمية في بلاط المغول في الهند - أدّى إلى ازدهار جميع الفنون الأدبية وبخاصة فن تدوين المعاجم في هذا العصر. ويمكن تقسيم عملية تدوين المعاجم الفارسية إلى ثلاث مراحل هي: ١. قبل المغول "القرن ٧ حتى ٩" ٢. العهد المغولي "القرن ١٠ حتى ١٣" ٣. بعد العهد المغولي أو العهد الجديد "القرن ١٤ وما بعده".

لقد اهتمّ كتاب المعاجم في العهد الأول بجمع اللغة الشعرية غير آبهين بلغة الحوار أو لغة الكتابة لذا فإنّ المعاجم التي وضعت في هذه الفترة لا تعتبر "شاملة". غير أنّ أكثر الأعمال دقّة وجدّية هو ما وضع في العهد الثاني أي في عهد الإمبراطورية المغولية وسيعالج هذا المقال دراسة أفضل المعاجم التي وضعت في هذا العصر دون غيره من العصور.

أمّا العهد الثالث أو العهد الجديد فيطلق على عصر سيطرة البريطانيين على أرض شبه القارة الهندية ونهاية العهد المغولي في هذه البلاد، حيث بذلوا أقصى جهودهم في استبدال اللغة الفارسية الرسمية باللغة الانكليزية.

الكلمات الدليلية: تدوين المعاجم، المغول، شبه القارة الهندية، العهد الصفوي، نزوح الأدياء.

*. طالبة الدكتوراه التخصصية في اللغة الفارسية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية في رودهن، إيران.

I.Mehr41@gmail.com

** .أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، إيران.

*** .أستاذ مشارك بجامعة آزاد الإسلامية في رودهن، إيران. Zarintaj_parihizkar@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادي نظري منظم

تاريخ القبول: ١٣٩٣/٣/٤ ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٢/١٠/١٠ ش

المقدمة

«كان الكوركانيون المغول في الهند قد اضطلعوا بالدور الأكبر في نشر الشعر والأدب الفارسيين في تلك البلاد. إنَّ الكوركانيين الهنود الذين يطلق على دولتهم الإمبراطورية البابرية أو إمبراطورية المغول في الهند كانوا يمثّلون آخر إمبراطورية للعصر الذهبي الإسلامي في الهند وقد أسَّسها بابر - الفاتح المغولي - الذي كان الأمير تيمور جدّه الخامس، في تلك البلاد الشاسعة وكانت المنافسة بينها وبين الصفويين في إيران على أشدها. حيث كانت أرض شبه القارة الهندية تمثّل أرض الفرص للشعراء والأدباء والفنانين وذلك بسبب الدعم والتشجيع اللذين كانوا يلقونهما هناك.» (تقرير مجمع اللغة الفارسية: ٤) كما أنّ عدم اهتمام الملوك الصفويين بهم كان يزيد من رغبتهم في النزوح إلى شبه القارة. كان التساهل والجود والكرم من سمات الحكام المغول في الهند الأمر الذي حوّل تلك الأرض إلى مركز علمي وأدبي ومخاضة فيما يتعلّق بتدوين المعاجم والتاريخ وكتب التراجم.

ستسعى الباحثة في هذا المقال إلى تسليط الضوء على تاريخ تدوين المعاجم الفارسية في شبه القارة مع عناية خاصة بدور الإمبراطورية المغولية في ازدهار هذا الفن. لقد تناول المرحوم سعيد نفيسى في مقدمة "لغتنامه" والأستاذ ذبيح الله صفا في "تاريخ أدبيات" والأستاذ سيد محمد دبیر سياتي في كتاب "فرهنگهای فارسی" (المعاجم الفارسية) بالتفصيل موضوع تدوين القواميس والمعاجم الفارسية. ويعدّ كتاب الأستاذ شهریار نقوی في موضوع المعاجم الفارسية في شبه القارة الهندية والباكستان من المصادر المهمّة لهذا المقال كما راجع الباحثون العديد من المصادر والمراجع الأخرى التي وردت الإشارة إليها داخل النص.

الأواصر القديمة بين الإيرانيين وسكان شبه القارة الهندية

«تعود جذور الوشائج الأولى بين الإيرانيين والهنود إلى الأساطير حيث ذكر بعض المؤرخين أنّ أرض الهند كانت من نصيب إيرج ابن فريدون.» (حمزة الاصفهاني،

«وقد ورد اسم الهند في الأستا أربع مرّات وإنّ أهم وأفضل تعريف عن البنجاب قد ورد في "فركرد الأول من فنديداد في الأستا" حيث تناول بالشرح والوصف أرض البنجاب بذكر ستّة عشر مكاناً منها.» (محمدباقر، ١٩٦٧م: ٢٩٧) «وتدلّ القواسم اللغوية والطقوس المشتركة أيضاً على هذا التعايش الطويل بين الشعبين.» (آموزگار، ١٩٩٥ش، ج ١: ٤٨) «أمّا تاريخياً فقد فتح كوروش الأخميني بلاد بلخ وأفغانستان والبنجاب والسند وتسبّب في إقامة العلاقة الثقافية والاقتصادية والسياسية داخل شبه القارة الهندية الأمر الذي استمر حتى سقوط الأخمينيين وعلى الأرجح حتى القرن الثاني الميلادي وإن لم تكن لغة الإيرانيين في تلك الفترة اللغة الفارسية أو الفارسية الدّرية.» (معين، ١٩٥١م، مقدمة برهان قاطع، ج ١: ٢٧)

بدايات معرفة الهنود للغة الفارسية

«يذهب الاعتقاد العام إلى أنّ اللغة الفارسية تعتبر من بقايا اللغة البهلوية التي كانت سائدة في إيران في القرنين الأول والثاني الميلاديين كما تؤكد ذلك الدراسات التي أجريت حتى اليوم.» (محمدباقر، ١٩٦٧م: ٢٩٩)

وكان الكوشانيون يحكمون في هذه الفترة على جزء من شبه القارة الهندية وقد وسعوا رقعة حكمهم لتشمل المناطق الشرقية في إيران وبذلك استطاعوا إقامة علاقات سياسية مع الإيرانيين ونشروا اللغة الفارسية في القرنين الأول والثاني الميلاديين في شبه القارة الهندية.

«ويبدو أنّ الهنود وجدوا في القرن الثالث الهجري فرصة سانحة لمعرفة اللغة الفارسية حيث كانت اللغة السائدة بين الناس في "مكران" كما ذكر مؤلف "المسالك والممالك".» (الاصطخري، ١٩٦١م: ١٥١) «وعندما توطدت العلاقات التجاريّة بين الإيرانيين وسكان شبه القارة الهندية والباكستان وبدأ الإيرانيون رحلاتهم إلى هناك فإنّ الناس في تلك البلاد قد زادت معرفتهم باللغة الفارسية أكثر فأكثر، وتوسعت العلاقات بين البلدين المجاورين خاصة بعد استيلاء الغزنويين على الحكم حيث أقبل سكان شبه القارة الهندية والباكستان على كتابة النثر ونظم الشعر بكل رغبة.» (محمدباقر، ١٩٦٧م:

وتعد فترة غزو محمود الغزنوي للهند للمرة الأولى عام (٣٩٢ق) وحتى بداية العهد الغزنوي الثاني أى سيطرة السلاجقة على الحكم (٤٣٢ق) بغض النظر عن الأبعاد السياسية لهذا الغزو ذات أهمية بالغة فى نشر اللغة الفارسية وآدابها وتطورها فى الهند. وقد تسبب محمود الغزنوي عن وعى أو دون وعى فى تعزيز بنيّة اللغة والثقافة الإيرانيين فى شبه القارة الهندية حتى استيلاء البريطانيين عليها. وقد أدت عدّة عوامل فى العهد الغزنوي بشكل عام إلى دخول العناصر الثقافية الإيرانية إلى أجزاء من الهند لتكون كأساس لهذه الثقافة فى المجالات المختلفة فى تلك البلاد.

«العامل الأول هو أنّ ظهور الغزنويين القوى جداً إلى جانب استراتيجية سياسية وعسكرية مستقرة فى الشرق "وإن كان باسم الجهاد ضد الكفار" قد أدّى إلى توسع رقعة الإمبراطورية الإسلامية إلى المناطق الشماليّة والشرقيّة فى الهند. العامل الثانى هو أنّ هذه الفتوحات قد استطاعت إلغاء العوائق السياسية والحدود لتوفر إمكانية السفر واللقاء بين الأدباء وسائر زوار تلك البلاد الموصوفة بأرض العجائب. أمّا العامل الثالث فهو دعم الغزنويين المادى والمعنوى المباشر للمتقنين وبخاصة فى ساحة اللغة الفارسية وآدابها.» (سلطانيان، ٢٠٠٤م: ٩٨)

أمّا فى العصر الغزنوي فقد ظهر شعراء بارزون وأفرد العوفى فى تذكرة لباب الألباب فضلاً لشعراء غزنة ولاهور. وممّا لاشك فيه أن الدولة الغزنوية الهندية لعبت دوراً لا ينكر فى الاهتمام بالفن والاهتمام بالشعراء الذين نظموا بالفارسية وبالكتاب الذين كتبوا بها. وبنشر اللغة والأدب الفارسيين بعد قرنين من سيطرة محمود الغزنوي على الهند وباستيلاء الغوريين على الهند نشأت فكرة تأسيس دولة إسلامية فى تلك البلاد. وقد أخذت المملكة الإسلامية فى تلك البلاد طابعاً رسمياً وتحوّلت أجزاء مهمة من شبه القارة الهندية مثل دلهى وبنغاله إلى عواصم لحكم الحكام المسلمين.

«بعد تأسيس الدولة الإسلامية فى الهند انقسم المجتمع الإسلامى فيها إلى طبقتين هما طبقة أهل السنة وطبقة الكتاب. لقد كان أهل السنة من الأتراك وكانوا يتحدثون

بالتركية ولكنهم كانوا مطلعين على اللغة والثقافة الفارسيين أما طبقة الكتاب فكانوا من الإيرانيين الذين عملوا في الدوائر الحكومية لذلك فقد كانت الأمور الحكومية في هذه الدوائر تتم باللغة الفارسية وبذلك انتشرت اللغة الفارسية في تلك البلاد بشكل رسمي.» (شريفحسين قاسمي، ١٩٩٨م: ٣) «وكانت هذه الفترة متزامنة مع الهجوم المغولي على إيران. تعتبر بدايات القرن السابع الهجري فترة انتشار اللغة الفارسية في الهند فقد اتجه الكثير من أبناء الملوك والأمراء المسلمين الهاربين من إيران وما وراء النهر بسبب هذا الهجوم إلى بلاط الملوك المسلمين في الهند. كان غياث الدين بلبل ملكاً مسلماً فارسي اللغة يحكم جزءاً من الهند وكان الشاعر أمير خسرو دهلوي يقوم بمدحه.» (فلاح رستگار، ١٩٧١م: ٨١٩)

أما في القرون التالية فقد أصيبت الحكومات الإسلامية في تلك الربوع بالضعف جراء هجوم الأمير تيمور على الهند الشمالية وبدأت الأرضية المناسبة تتوفر لتأسيس دولة مركزية مقتدرة لتنتهي هذه الحالة الفوضوية.

الكوركانيون ورعايتهم للأدب "المغول المثقفون"

لقد شهد القرن العاشر الهجري حكم أحد أحفاد الأمير تيمور والذي كان يدعى ظهير الدين محمد بابر فقد كان يصل بنسبه في جدّه الخامس إلى الأمير تيمور الكوركاني الذي كان ينحدر من أصول مغولية. لقد أنشأ الأمير تيمور بلداً واسع الأطراف واستطاع توسيع الرقعة الجغرافية لحكمه إلى جميع مناطق آسية الوسطى من جهة وإلى خراسان كلها وإلى جميع مناطق إيران والدولة العثمانية وجزء من الهند. ولكن فتوحات تيمور التي كانت ذات صبغة هجومية أكثر من كونها فتوحات تؤدي إلى السيطرة على البلاد بشكل مستقر لذا فإن البلاد المفتوحة كانت تخرج عن سيطرة التيموريين تدريجياً. وبعد وفاة تيمور بدأ العثمانيون والتركمان وآل جلاير ومحاولاتهم لاستعادة البلاد التي كانوا قد خسروها ولكن على الرغم من الصراع المرير الذي دار بين أولاد تيمور على السلطة إلا أن السلالة التيمورية لم تنقرض نهائياً إذ نقل أحفاد تيمور حكمهم إلى الهند وأسّسوا هناك الدولة البابرية. لقد نعتت المصادر الأروبية الباريين بسبب انتسابهم

إلى تيمور "بمغول الهند" أو "المغولي الكبير" كانت رقعة حكم مغول الهند تشمل جزءاً كبيراً من شبه القارة الهندية "وهي كانت تشمل الهند والباكستان وبنغلادش وأجزاء من أفغانستان اليوم".

«إنّ الفارق الكبير بين التيموريين وجنكيزخان هو أنّ التيموريين لم يكونوا مثل المغول في شراستهم وتدميرهم للبلاد وذلك لاعتناقهم الدين الإسلامي واختلاطهم بالحضارة الإيرانية. بالإضافة إلى أنّ معرفتهم بالشعر والأدب والفن الإيراني قد جعلتهم حماة للأدب والفن الإيرانيين حيث أسدوا خدمات جليلة في هذا الصدد.» (صفا، ١٩٩٤م، ج ٤: ٤١) «لقد كانت فترة حكم البابريين فترة مزدهرة جداً من حيث انتشار اللغة الفارسية في الهند. فاللغة الفارسية التي كانت تعيش في ذلك العصر في وئام مع سائر اللغات واللهجات الهندية وكانت تتعايش معها تعايشاً سلمياً بدأت تتفوق عليها وتزدهر بسبب سيطرة البابريين "الكوركانيين" -الذين كانوا من ثمار بلاط هراة المزدهر- على مقاليد الحكم. لقد بلغت هذه السلامة من القوة مكانة بحيث إنّها كانت في عهد أكبرشاه مسيطرة على أغلب مناطق بلاد الهند.» (فلاح رستگار، ١٩٧١م: ٨١٩-٨٢٠)

«لقد كان ازدهار اللغة الفارسية في ذلك العهد قد جعل دلهي تضاهي من ناحية الأهمية والمكانة العلمية والثقافية سمرقند وكانت مدينة جنبور الهندية تدعى في القرن الثامن الهجري شيراز الهند. وكان التنافس بين المدن الهندية الكبرى على أشده لنيل امتيازات في نشر العلم والأدب الفارسي إنّ تشجيع الملوك الهنود للعلماء والشعراء الإيرانيين الكبار وتوجيه الدعوة إليهم للتوجه نحو الهند خير دليل على اهتمامهم بنشر اللغة الفارسية.» (فلاح رستگار، ١٩٧١م: ٨٢١)

«إنّ قطع البلاط الصفوي الدعم عن الفنانين وعدم رغبته في الاستثمار لنشر الفن وتطويره إلى جانب فقدان الأمن الاجتماعي في مجتمع كان يعاني الفساد والسقوط حيث كان الجميع فيه معرضين للخطر أدّى في نهاية المطاف إلى النزوح الجماعي للفنانين. وهذه الظاهرة هي التي توصف اليوم "بهجرة الأدمغة" وهي نتيجة طبيعية للظروف الحياتية والاجتماعية السيئة.» (كوشا، ٢٠٠٤م، العدد ٢٦: ٤٠)

«وبالمقابل كان الملوك الكوركانيون قد حولوا أرض الهند إلى "البيت الآمن" للفنانين والأدباء والشعراء. وكان ظهير الدين محمد بابر الذي أسس في العام (٩٣٢ق) أعظم الحكومات في شبه القارة الهندية من المعنيين بالعلم والمتدوِّقين للأدب ونستطيع أن نلاحظ أشعاره الرائعة في الكتب التاريخية والتراجم مثل أكبرنامه وتاريخ فرشته وتذكرة مرآة الخيال. وهنا نورد آثار بابر المنشورة والمنظومة وهي: "ديوان باللغة التركية" وديوان باسم "مثنوى يافقه البابري" ورسالتان باسم "رساله والديه" و"رسائل عروض" وكتاب آخر تحت عنوان "واقعات بابري".» (إدريس أحمد، ١٩٩٨م: ١٤٥)

ويبدو أن ظهير الدين بابر كان يميل إلى الطريقة النقشبندية الصوفيّة وتؤكد الرباعية التالية هذا الزعم:

درويشان را گرچه نه از خویشانیم ليک از دل و جان معتقد ايشانيم
دوراست مگوي شاهي از درويشي شاهيم ولي بنده درویشانيم
- رغم أننا لسنا من أقارب الدراويش غير أننا نؤمن بهم بقلوبنا جازمين.

- لا تقل إنَّ الملك لا يكون قريباً من الدراويش إننا ملوك ولكننا عبيد الدراويش.
«إنَّ غالبية ملوك هذه السلالة كانوا من محبي العلم ومشجعيه بل كانوا شعراء وكتّاباً وتقاداً. كان بابر وابنه همايون "ثاني ملوك الكوركانيين" رغم انشغالهما بشؤون الحكم قد قاما بإنشاء العديد من المدارس والمكتبات وكان بلاطهما مزدهراً بحضور الشعراء والكتاب.» (فاطمه حسيني، ١٩٩٧م: ١٣٠)

«لقد كان لأخلاف بابر المشهورين دور كبير في نشر اللغة والأدب الفارسيين ومن أشهر هؤلاء ناصر الدين همايون (٩٣٧-٩٦٣ق) وجلال الدين أكبر (٩٦٣-١٠١٤ق) ونورالدين جهانكير (١٠١٤-١٠٣٧ق) وشهاب الدين شاه جهان (١٠٣٧-١٠٦٨ق) ومحبيالدين اورنك زيب (١٠٦٨-١١١٨ق) إنَّ الظرف ودقة الطبع اللذين ورثهما ظهيرالدين من أجداده: قد انتقلا إلى ابنه وإلى أحفاده إذ كان نصيرالدين همايون ابن بابر وخليفته ينظم الشعر بالفارسية وكان لقبه الشعري "همايون" وكان له ديوان شعر كما ذكر ابو الفضل العلامي وكانت نسخة منه موجودة في مكتبة أكبرشاه حسب وصف العلامي وقد نقل أمين أحمد الرازي في تاريخ فرشته الرباعية التالية من نصيرالدين

همايون.» (صفا، ١٩٩٤م: ٤٥٢)

جمعست دلم با تو درون خانه در تفرقه ام بی تو چو در ویرانه
چون با تو شوم با خودم وهشیارم چون بی تو شوم بی خودم و دیوانه
- يشعر قلبی بالاطمئنان عندما يكون معك وأنا في حالة التشتت عند فراقك
وكانتني بين الأطلال.

- فعندما أجمع بك أكون واعياً عاقلاً وعندما أفارقك أفقد وعيى لأتحول إلى
مجنون.

«وبالإضافة إلى همايون فإنّ أبناء باير الثلاثة كانوا شعراء أيضاً وهم ميرزا كامران (م ٩٦٤ق) وميرزا عسكري (م ٩٦١ق) وميرزا هندال (٩٥٨ق).» (صفا، ١٩٧١م: ٤٥٣)

وعلى الرغم من أنّ الملك الثالث من سلالة مغول الهند المسّمى جلال الدين أكبر (٩٦٣-١٠١٤ق) لم يدخل المدرسة ولم يجد الفرصة لتعلّم علوم عصره اتباعاً لتقاليد أسرته غير أنّ آثاره وأقوال أبي الفضل العلامى فى كتابه أكبرنامه تدلّ بوضوح على أنّه كان يجيد الفارسية وكان يعرف أشعار مولوى وحافظ. غير أنّ الفضل الذى يمتاز به هو دعمه السخى للأدباء الفرس وإغداق الأموال عليهم وقد أدّى عمله الكبير هذا إلى أن يتجه الأدباء الفرس إلى بلاطه من إيران ومن الهند. إنّ السنة المحمودة التى وضعها كميراث فى بلاط الكوركانيين هى اختيار أمير الشعراء وإعداد طابور خاص بالشعراء فى المناسبات الرسميّة وتخصيص راتب شهرى لهم. فقد أمر أكبر شاه بتأسيس أقسام خاصة بكتابة التاريخ وتسجيل الأحداث والترجمة ممّا أدّى إلى ترجمة آثار كثيرة وتأليف كتب متعددة. كما ألف وزيره الشهير أبو الفضل العلامى كتاب "أكبرنامه" و"عين الكبرى". كان عدد الشعراء الذين عاشوا فى بلاط جلال الدين أكبر أو انتسبوا إليه ومدحوه كبيراً جداً وقد أورد أبو الفضل العلامى فى كتابه "آئين الكبرى" أسماءهم تحت عنوان "قافية سبحان".

كما كان الملك نورالدين جهانگیر (١٠١٤-١٠٣٧ق) وزوجته الإيرانية نورجهان بيكم شاعرين وكانا يرعيان الشعراء وكان لجهانكير عدد كبير من الشعراء الذين يمدحونه سواء عندما كان ولياً للعهد أو عندما أصبح ملكاً. وقد كتب أحداث حياته

على غرار بابر في كتاب تحت عنوان "توزك جهانگیری" معتمداً على ذوقه الأدبي وله هذه الرباعية:

ای آنکه غم زمانه پاکت خورده اندوه دل وسوسه ناکت خورده
ماننده قطره های باران به زمین جاگرم نکرده ای که خاکت خورده

- یا من أضناه حزن الدهر بالكامل ویا من أتعبه حزن القلب الملى بالهواجس.

- فأنت كقطرات المطر التي تنصب على الأرض ولكنها قبل أن تستقر عليها فإن

التراب يلتهمها.

«إن آخر ملوك الكوركانيين الكبار في الهند هو الملك اورنك زيب عالمگیر (١١١٨-١٠٦٩ق) حيث بلغت عظمة هذه السلالة وشوكتها غايتها في عهده لقد كان ملماً بالعلوم الأدبية وكان منشئاً أديباً كبيراً. غير أنه أظهر تعصباً دينياً شديداً ضد الهندوس -على العكس من جلال الدين أكبر وجهانگیر شاه جهان- وتظاهر بعدم الرغبة في الشعر والشعراء حاله في ذلك حال الشاه طهماسب الصفوي في إيران بينما كان عدد كبير من الشعراء الفرس مازالوا موجودين في الهند في ذلك العهد. وعلى الرغم من أن موت اورنك زيب يعتبر بداية النهاية لعظمة الحكم الكوركاني في الهند غير أن شجرة الأدب الفارسي ذات الجذور القوية كانت تثمر إلى فترة طويلة في تلك البلاد. لقد كانت الأنشطة الأدبية والثقافية منذ عهد أكبر وحتى عهد شاه جهان منقطعة النظر فقد وفدت إلى الهند قوافل من الشعراء والكتاب ووردت أسماء ٧٤٥ شخصاً من المنضوين إلى "قافلة الهند".» (فاطمه حسيني، ١٩٧٧م: ١٣١) لقد تحوّلت عدّة مدن كبرى في الهند في عهد الملوك الكوركانيين الأوائل إلى بيئات إيرانية وكانت تحتضن الثقافة الإيرانية وترعاها.

«وكان هؤلاء الملوك وأبناؤهم يتحدثون ويكتبون بهذه اللغة كما أن كبار قادتهم ووزرائهم وكبار بلاطهم كانوا كذلك ينتسبون إلى الأسر الإيرانية الشهيرة حيث كانوا يباليغون في احترام كل شاعر أو كاتب مبدع قادم من إيران ولم يكونوا يألون جهداً في إكرامهم لحظة واحدة.» (صفا، ١٩٩٤م، ج ١/٥: ٤٨ و٤٩)

تدوين المعاجم فى شبه القارة الهندية فى العهد المغولى

إنّ من بين ما يقرب من مائتين وخمسين معجماً تمّ وضعه من الفارسية أو من الفارسية إلى غيرها من اللغات فإنّ حصة المؤلفين الإيرانيين تبلغ حوالى أربعين معجماً وبدهى أنّ الشعوب المجاورة وبخاصة الهنود الذين كانت اللغة الفارسية لغة بلاطهم ولغتهم الأدبية قد اهتموا بوضع المعاجم أكثر من الإيرانيين أنفسهم وذلك لحاجتهم إليها.

«وكان الإيرانيون يشعرون بعدم الحاجة إلى قواميس اللغة لكون اللغة الفارسية لغتهم التى رضعوها لذلك فقد كان اهتمامهم قليلاً نسبياً بوضع المعاجم أو القواميس شأنهم فى ذلك شأن العرب الذين كانوا لا يرون حاجة إلى وضع قواميس فى اللغة العربية وعندما أصبحت العربية اللغة الدينية للإيرانيين بدأوا بوضع القواميس العربية لحاجتهم إليها.» (معين، ١٩٥٨م، ج ١ مقدمه: ٤١) واستناداً إلى المصادر الأولية فإنّ من جملة القواميس التى وضعها الإيرانيون بأنفسهم يمكن الإشارة إلى قاموس أبيحفص السغدى المشهور بالرسالة وتفاسير فى لغة الفرس لقطران الأرموى ولغة الفرس للأسدى.

كما ذكر آنفاً فإنّ اللغة الرسمية فى البلاط ولغة العلماء والأدباء والطبقة الارستقراطية ولغة السياسة والدين فى العهد الكوركانى كانت الفارسية الأمر الذى يوضّح مدى حاجة المتحدثين بهذه اللغة فى تلك البلاد إلى القواميس بهدف الكشف عن دقائق اللغة وإتقانها.

وعلى الرغم من أنّ الوثائق تدل على أنّ الظروف كانت مؤاتية لوضع قواميس اللغة منذ بدايات القرن السابع الهجرى (٦٠٣ق) وتأسيس الدولة الإسلامية الفارسية اللغة فى الهند غير أنّ تلك القواميس عبارة عن قواميس شعرية ولم يتم فيها الاهتمام بالمفردات المستخدمة فى المكاتبات والمحاورات كما سنذكر لاحقاً.

ومن خلال نظرة عابرة إلى ظروف وضع المعاجم فى العهد المغولى فى الهند يمكن تقسيم فن تدوين المعاجم فى تلك البلاد إلى ثلاثة أقسام تاريخية وهى:

١. الفترة التى سبقت العهد المغولى "الكوركانى" (من القرن السابع حتى القرن التاسع الهجريين).

٢. العهد المغولي (من القرن العاشر وحتى القرن الثالث عشر الهجريين).

٣. عهد سقوط المغول "العهد الجديد" (القرن الرابع عشر الهجري).

العصر الأول

لقد توفرت الأرضيات اللازمة لتدوين المعاجم والقواميس في الهند منذ القرن السابع الهجري عندما تحوّلت اللغة الفارسية إلى لغة البلاط وإلى لغة الأدب بشكل رسمي وأبدى الهنود رغبة كبيرة في تعلمها.

«إنّ المعاجم التي استخدمها كتّاب المعاجم في هذا الفن كانت عبارة عن المعاجم التخصصية في الشعر الفارسي وقد قام بإعدادها شعراء إيرانيون من مثل أبيالحسن علي بن أحمد الأسدي ومحمد بن فخر الدين هندوشاه وشمس فخرى وذلك تلبية لحاجة الشعراء ومنذوقى الشعر الإيرانيين. ولأنّهم كانوا مهتمّين بالشعر فقط وكانوا يعتبرون اللغة والآداب ملكاً للشعراء لذا فإنّهم لم يهتموا بلغة الحوار والكتابة بل قاموا بجمع الألفاظ التي كان الشعراء يحتاجون إليها في الشعر ولتسهيل عملية البحث عن القافية كان ترتيب الحروف على أساس نهاية الكلمات.» (دزفوليان، العدد ٢٧: ١٨-١٩)

«لقد ذكر أصحاب أشهر المعاجم في ديباجتها أنّ الهدف من تدوين المعاجم هو المساعدة على فهم الشعر ومن بين أشهر القواميس في هذه الفترة يمكن الإشارة إلى: معجم قواسي "أقدم معجم فارسي عرف في شبه القارة الهندية" ودستور الأفاضل وبحر الفضائل وأداة الفضلاء وشرفنامه ومفتاح الفضلاء وتحفة السعادة ومؤيد الفضلاء. لم يكن مؤلفو هذه القواميس معنيين كثيراً بالإعراب وبياضح المعاني ولكنهم جاؤوا بشواهد شعرية لأكثر المفردات كما أنّهم لم يهتموا كثيراً باشتقاق الكلمات وتحقيقها ونقدها. وفي بعض الحالات يشعر المرء بأنه أمام قائمة من الألفاظ الشعرية التي وضعت أمامها الكلمات المرادفة لها.» (دزفوليان، ٢٠٠٠م، العدد ٢٧: ١٩)

إنّ ترتيب المفردات في معاجم هذه الفترة هو الحرف الأول للكلمة وهو الأساس لوضع "الباب" كما أنّ كل فصل يتكوّن من الحرف الأخير للمفردة. ولم تؤخذ الحروف الوسطى للكلمة بعين الاعتبار. الأمر الذي يجعل البحث عن الكلمة أمراً غاية في

الصعوبة كما أنّهم جعلوا تقسيم الأبواب على أساس الحروف العربية وليست الحروف الفارسية. وبغض النظر عن المشاكل التي ظهرت في قواميس هذه الفترة غير أنّها مهدت الأرضية لظهور قواميس أخرى في الفترات التالية اتصفت بالدقة والكمال.

العصر الثاني: العهد المغولي (٩٣٣-١٢٧٤)

«لقد كانت اللغة الفارسية في بلاط الكوركانيين هي اللغة الرسمية للبلاط والأدب والسياسة وكان كبار الأدباء يؤلفون آثارهم في شتى المجالات بهذه اللغة. وكانت الأعمال المهمة في مجال تأليف المعاجم الفارسية تعود إلى المؤلفين الهنود المتحدثين بالفارسية أو الإيرانيين النازحين إلى الهند الذين دخلوا في بلاطها. خاصة وأنّ التيموريين في الهند كانوا يغدقون العطاء على الأدباء شأنهم في ذلك شأن أجدادهم في إيران. وكانت اللغة الفارسية التي تحوّلت إلى لغة الدين والتصوف والأدب والشعر والسياسة والارستقراطيين جميعاً في الهند قد شغلت جموعاً غفيرة من الناس بتعليمها وتعلمها.» (صفا، ١٩٩٤م، ج ١/٥: ٣٨٦) «الأمر الذي سبب حاجة المتحدثين بالفارسية إلى وضع المعاجم بها وإثر عدم اهتمام الإيرانيين بوضع المعاجم الفارسية فإنّ علماء البلاد الأخرى كاهند وتركيا اللتين كانت الفارسية منذ عهد بعيد فيهما لغة رسمية للبلاط أو الآداب قد شعروا بالحاجة إلى تدوين المعاجم الفارسية وأقدموا على ذلك ورغم صعوبة عمل هؤلاء في بداية المشوار ورغم الجهد الكبير الذي بذلوه في هذا السبيل إلا أنّ أخطاءهم كانت كثيرة جداً إذ لم يكونوا أصحاب اللغة ولم يكونوا يتقنونها بالكامل.» (معين، ١٩٥٨م: ٤١) وفي واقع الأمر يجب أن نقول بأنّ الخدمات التي أسداها هؤلاء كبيرة جداً بحيث يسهل التغاضي عن الأخطاء التي ارتكبوها في آثارهم.

وبغض النظر عن الأخطاء التي وردت في المعاجم التي دونت في شبه القارة الهندية بنسب متفاوتة إلا أنّ غالبية المعاجم التي وضعت في القرن العاشر وحتى القرن الثاني عشر الهجريين "العهد المغولي" لم تزل تعتبر من مصادر اللغة الفارسية وقد ألفت غالبية هذه المعاجم في الفترة من (٩٣٧ وحتى ١١١٩ق) في عهد همايون شاه وأكبر شاه وجهانگیر شاه وشاه جهان واورنك زيب.

«لقد كان عدد الخطباء والشعراء باللغة الفارسية في بلاطات هؤلاء الملوك عدة أضعاف نظرائهم في إيران حيث إنّ الوثائق التاريخية حول العصر الإسلامي في الهند كتبت باللغة الفارسية.» (دزفوليان، ١٩٩٨م: ٢١) «لقد شهد هذان القرنان ظهور شعراء كبار من أمثال: ظهورى وطالب آملى وكليم كاشانى وحزين لاهيجى وصائب وقدسى ونظيرى وعرفى وغيرهم من الشعراء. إنّ التطور السريع الذى شهده الأدب الفارسى فى الهند قد أجبر الهنود على بذل جهود كبيرة لتعلم رموز اللغة الفارسية ودقائقها إذ كانت اللغة الرسمية فى البلاط كما كانت اللغة العلمية والأدبية فى البلاد أيضاً. لذا فإنّ الاقتضاءات الزمانية والمكانية قد دفعت الأدباء والفضلاء إلى الاهتمام بوضع المعاجم الفارسية وتدوينها منعاً لاختلاط اللغة الفارسية باللهجات المحلية وقد أصبح هذا الأمر محط اهتمام محبى هذه اللغة ودفعت الحكام إلى الاهتمام بهذا الأمر أيضاً.» (دزفوليان، ١٩٩٨م: ٢١) وعلى الرغم من إعجاب جميع الحكام المغول باللغة الفارسية إلا أنّ دعم أكبرشاه وجهانگیرشاه وشاه جهان لهذه اللغة كان أكبر من غيرهم حيث تمّ تأليف أهم وأفضل المعاجم فى هذا العصر بيد أفراد البلاط فى بعض الأحيان.

ومن بين هذه المعاجم يمكن الإشارة إلى مجمع اللغات لأبى الفضل العلامى وزير أكبرشاه وفرهنگ جهانگیرى لجمال الدين حسين انجو وفرهنگ چهاردانش لأمان الله خان وكانا من رجال البلاط أيضاً.

ويمكن تقسيم معاجم العهد المغولى إلى قسمين هما:

أ. المعاجم العامة "غير مختصة بموضوع معين"

ب. المعاجم التخصصية

وتقصد هنا بالمعاجم تلك القواميس اللغوية التى كتبت بهدف حلّ مشاكل اللغة الفارسية فى الشعر والنثر كما تقصد بالمعاجم التخصصية تلك القواميس اللغوية التى وضعت لفهم المفردات أو التعابير الصعبة فى شعر شاعر ونثر كاتب معين.

إنّ عدد المعاجم المكتوبة فى عهد الإمبراطورية المغولية وبخاصة الملوك الذين سبق ذكرهم فى الفقرة السابقة كبير وإنّ المجموعة التى توصف منها بالمعاجم الجيدة تمّ طبعها حتى اليوم ولكن كثيراً من الباحثين والمختصين فى المخطوطات وكثيراً من المعجميين

يعتقدون أنّ كثيراً من هذه المعاجم لم تجد المكانة التي تستحقها سواء المسجلة منها أو غير المسجلة وذلك على الرغم من الجهود التي بذلها كتاب فهارس المخطوطات في شبه القارة الهندية.

عدد من القواميس المهمة "المجموعة الأولى" في العهد المغولي

- مجموع اللغات "مجموع اللغة" لكتابه الوزير المناضل جلال الدين أكبرشاه -أبي الفضل العلّامي - وقد أُلّف في العام (٩٩٤ق) وقد اعتمد هذا المعجم ترتيب المفردات على أساس الحرف الأول تحت عنوان الباب والحرف الأخير للكلمة تحت عنوان الفصل وليس للحروف الأصلية دور في هذا الترتيب ولم يسجل الكاتب حركات الحروف كما لم يشر إلى أصول المفردات كما لا تتوفر فيه الشواهد الشعرية أو النثرية. «ويبدو من ديباجة هذا القاموس أنّ الأدب الفارسي كان يتمّ تدريسه في جميع أرجاء الهند في القرنين التاسع والعاشر الهجريين وكان وضع القواميس المتعددة فيها للغرض نفسه وكان كثير من سكان الهند يتكلمون بالفارسية كالإيرانيين تماماً.» (ديبرسياقي، ١٩٨٩م: ١٠٠)

- فرهنّگ شیرخانی "فوائد الصنایع": من تأليف شیرخان سور في العام (٩٥٥ق). ويعتمد ترتيب المفردات في هذا القاموس على الحرف الأول للكلمة تحت عنوان الباب والحرف الأخير تحت عنوان الفصل ورغم استشهاده بالشواهد الشعرية إلاّ أنّه لم يذكر أسماء شعرائها.

- فتح الكتاب وقد أُلّفه أبو الخير بن سعد الأنصاري في العام (٩٩١ق) إنّ كل حرف في هذا الكتاب تمّ تصنيفه تحت عنوان ثلاثة أبواب عربية وتركية وفارسية. لقد شكّل الكاتب الكلمات في هذا القاموس غير أنّه لم يستشهد بالشواهد الشعرية.

مدار الأفاضل: من تأليف الله داد فيض سرهندي في العام (١٠٠١ق) في عهد الملك جلال الدين أكبر. وقد استخدم المؤلف المعاجم الفارسية إلى الفارسية والعربية إلى الفارسية كمصادر وفي ترتيب المفردات جعل الحرف الأول تحت عنوان الباب والحرف الأخير تحت عنوان الفصل وقد استشهد الله داد لبعض المفردات بالأبيات

الشعرية.

فرهنگ جهانگیری: وقد ألفه نواب عضدالدولة جمال الدين حسين اينجو واستخدم في تأليفه لهذا القاموس معجم ابن حفص السغدي كأقدم المعاجم واستخدم قاموسى مؤيد الفضلاء وسرورى كمعاجم معاصرة له. كما استفاد من مصادر أخرى كتفسير القرآن وكتب المصطلحات الطبية والفلكية ليتمكن من جعل قاموسه "كاملاً" وقد بدأ جمال الدين تأليف معجمه بأمر من جلال الدين أكبرشاه في العام (١٠٠٥ق) ولكن عمله انتهى في العام (١٠١٧ق) أى في عهد حكم الملك جهانگیر. لذلك فقد أطلق اسم هذا الملك على الكتاب. لقد وضع فرهنگ جهانگیری في أربعة وعشرين باباً وبترتيب الحروف الفارسية ومقدمة واثني عشر "آئناً" وخاتمة. إن ما يميّز هذا الأثر هو تنوع المصادر التي استخدمها وقد ذكر هذه المصادر في مقدمته كما يتميز هذا القاموس لاهتمامه بالقضايا النحوية في اللغة الفارسية.

«إن نجاح حسين اينجو في الوصول إلى مفردات زند وبازند والأفستا جاء نتيجة تعاون أحد الإيرانيين الزرادشتيين الذين كان آ زاد أحد المنشئين في بلاط جلال الدين أكبر قد جاء به إلى "آغرا" و"فتح بورسيكري".» (صفا، ١٩٩٤م، ١/٥: ٣٧٨) ولعلّ الاعتماد المطلق على أقوال شخص واحد وآرائه قد أدّى إلى ظهور بعض الأخطاء في نقل المفردات.

«إن أسلوب اينجو في ترتيب المفردات أسلوب غير متعارف عليه. إن أساس عمله في ترتيب الأبواب على الحرف الثاني ويأتى الحرف الأول تحت عنوان الفصل ومن ثمّ الحرف الثالث والرابع... الأمر الذى جعل البحث عن الكلمات أمراً غاية في الصعوبة. ولكن على الرغم مما ذكر فإنّ هذا القاموس لعب دوراً مهماً في مسار تطور تدوين المعاجم في الهند في القرن الحادى عشر بسبب وجود بعض الميزات فيه. حيث أصبح أساساً للكثير من القواميس التي وضعت لاحقاً.» (ديبر سياقي، ١٩٨٩م: ١٢٤)

- فرهنگ درّ درى: تأليف على يوسف شيروانى في العام (١٠١٨ق) وقد وشّاه باسم أحد أبناء جهانگیر الكوركانى وذكر في المقدمة إثني عشر مصدراً استفاد منه في تأليف المعجم واعتمد المعجم في ترتيب المفردات الحرف الأول ومن ثمّ الحرف الأخير.

- جهاز عنصر دانش: قاموس مفصل للمفردات الفارسية والعربية ألفه أمان الله حسيني الملقب بأمانى من كبار بلاط نورالدين جهانگیر بين الأعوام (١٠١٤ و حتى ١٠٣٧ق) ويعتمد فى ترتيب أبوابه الحروف الأخيرة للمفردات ويحتوى هذا القاموس على أربعة عناصر وهى:

العنصر الأول: المفردات العربية

العنصر الثانى: المفردات الفارسية

العنصر الثالث: التعابير المجازية والاستعارية ومفردات زند وبازند

المفردات الرابع: المصطلحات الطبية.

فرهنگ رشیدی: «من القواميس الفارسية المعروفة من تأليف سيد عبدالرشيد تقوى وهو مؤلف كتاب "منتخب اللغات شاه جهانى" فى العام (١٠٤٦ق) باسم شاه جهان وبعد ثمانية عشر عاماً أى فى العام (١٠٦٤ق) قد أخرج المعجم نفسه باسم الملك نفسه. وقد اعتبره فى الديباجة جمعاً بين فرهنگ جهانگیرى وسرورى ولكنه أحجم عن إيراد شواهدهما الشعرية. إن أسلوبه فى ترتيب المفردات يشبه عمل محمدحسين بن خلف فى تدوين برهان قاطع بالإضافة إلى تشكيكه للكلمات. يعدّ فرهنگ رشیدی بحق فى عداد أولى المعاجم النقدية.» (دبير سياقى، ١٩٨٩م: ١٥٤)

أشهر اللغات: ألفه فى العام (١٠٨١) غلام الله بهكن صديقى وقد وضع باسم الملك اورنك زيب وجاء ترتيب مفرداته حسب الحرف الأول تحت عنوان "الباب" والحرف الأخير باعتباره "فصلاً" وقد اعتبره المؤلف مختارات من المعاجم السابقة وقد ذكره مؤلف "فرهنگ نظام" من ضمن مصادره.

لغت عالمگیرية: وقد كتب باسم اورنك زيب ألفه فاضل محمد دهلوى عام (١١١٩م) وجاء ترتيب المفردات فيه على أساس الحرف الأول كباب والحرف الأخير كفضل وقد أورد فى كل فصل المفردات العربية أولاً والفارسية لاحقاً.

جراغ هدايت: ألفه سراج الدين على خان آرزو من الشعراء الهنود الذين نظموا بالفارسية وهو فى واقع الأمر الجزء الثانى من معجم "سراج اللغة" المهم للمؤلف نفسه وقد تمّ تأليفه لتوضيح المفردات الصعبة الواردة فى أشعار المتأخرين ممن نظموا

بالفارسية. وزعم المؤلف أنّ المفردات والمصطلحات المستخدمة في معاجم هذا العصر ليست مثل جهانگیری وسرورى وبرهان. كان المؤلف يهدف من عمله هذا مساعدة الشعراء الذين ينظمون بالفارسية في الهند وقد كان الاهتمام في ترتيبه بالحرف الأول والثاني وتمّ تأليفه في واحد وثلاثين باباً.

ب. المعاجم التخصصية: كان تأليف المعاجم بغرض فهم أشعار شاعر معين نادراً في هذا العصر غير أنّ الآثار التي وصلتنا من هذه الفترة تدلّ على مدى رغبة محبّي اللغة الفارسية في شبه القارة الهندية في النصوص الملحمية والصوفية مثل الشاهنامه للفردوسی ومثنوی مولوی أو حديقة الحقيقة لسنائی الغزوی.

فرهنگ شاهنامه: لقد ورد ذكر هذا الكتاب في مقدمة فرهنگ جهانگیری كأحد المصادر. ولاشك في أنّه أُلّف قبل العام (١٠٠٥ق) ولكنّ بالنظر إلى عدم وجود نسخة من الكتاب فإنّ إثبات نسبته إلى العصر المغولي أمر غير ممكن.

كنج نامه: أُلّفه على بن تيفور بسطامي ويتناول شرح أبيات الشاهنامه واستشهد المؤلف بأبيات الشاهنامه كشواهد شعرية وقد كان تأليفه عام (١٠٦٩ق). وأورده مؤلّف فرهنگ نظام كأحد مصادره.

مشكلات شهنامه: كان تأليف الكتاب قبل العام (١٠٧٥ق) دون أدنى شكّ وقد ذكره صاحب فرهنگ شعورى في مقدمة كتابه بالصورة ذاتها -مشكلات شهنامه- ولكنّ بالنظر إلى عدم وجود نسخة من الكتاب فإنّ إبداء الرأى حول كون هذا الكتاب وفرهنگ شاهنامه الآنف الذكر كتاباً واحداً أمر غير ممكن.

معجم شاهنامه: «لقد ذكر الخطاط اسم المؤلف وهو محمد بن الرضا بن محمد العلوى الطوسى ولا يعرف زمن تأليفه غير أنّ التاريخ المذكور في النسخة الموجودة في جامعة لاهور "باكستان" هو (١٢٨٥ق). وقد علّل المؤلف سبب تسمية الكتاب -بالمعجم- بوجود الأبيات المتفرقة فيه وأشار إلى كيفية ترتيب المفردات قائلاً: لقد كتبت من الحرف "أ" وحتى الحرف "ى" ورتبتها كى تسهل على القارئ عملية البحث عن أية كلمة يريدّها فإذا كانت مفتوحة بالألف راجع الألف وإذا كانت مخنومة بالباء راجع الباء وبذلك يجد معنى تلك اللفظة.» (نقلًا عن دبیر سياقى، ١٩٨٩م: ٢٤٩)

لطائف اللغات: من تأليف عبداللطيف ابن عبدالله عباسى من أدياء نهايات القرن الحادى عشر. ويتناول هذا القاموس شرح المفردات الفارسية والعربية والتركية فى ديوان مثنوى لمولوى ولاشكّ فى أنّه كتب قبل العام (١٠٤٨ق) "سنة وفاة المؤلف" وكان عبداللطيف قد تفرغ لتنقيح مثنوى عدة سنوات ثمّ أخرج منه نسخة باسم "نسخه ناسخه" وأضاف عليها نسخة تدعى "مرآة المثنوى" وألف شرحاً حول مثنوى باسم "لطائف المعنوى" وقد وردت المفردات فيه على أساس الحرف الأخير فيها تحت عنوان "الباب" والحرف الأول تحت عنوان الفصل ولم يتم تشكيل الكلمات.

لطائف اللغات: تمّ تأليف هذا القاموس فى شرح المفردات الصعبة الواردة فى ديوان حديقة الحقيقة للشاعر ولا نعرف شيئاً عن المؤلف ولا عن تاريخ تأليف الكتاب يعود تاريخ الكتابة على مخطوطة مجلس الشورى الإسلامى إلى العام (١١٣٤ق) غير أنّ المصادر التى استخدمت فيها تدل على أنّ تاريخ تأليف الكتاب هو القرن الحادى عشر الهجرى.

لقد استفاد المؤلف من ثلاثين قاموساً كمصادر "فى الفصل الرابع الذى وصل إلينا" واستشهد فى كثير من الحالات بالأبيات الشعرية وقد ذكر إعراب الكلمات أحياناً لإظهار الحركات فيها ولجأ فى بعض الأحيان إلى استخدام الكلمات ذات الوزن المشترك وإنّ ترتيب المفردات فيه يشبه ترتيب كتاب لطائف اللغات لعبد اللطيف الكجراتى أى إنّ أساس الباب هو الحرف الأخير وأساس الفصل هو الحرف الأول. لقد قامت الباحثة بتصحيح هذه المخطوطة كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه التخصصية وسيتمّ التعريف بها فى مقال مستقل سيرى النور قريباً.

الفترة الثالثة: بعد العصر المغولى "العصر المتأخر"

«تشمل الفترة الثالثة العصر الذى سقطت فيه الإمبراطورية المغولية فى شبه القارة الهندية والباكستان. فبعد سيطرة بريطانيا على الهند وتغيير النهج السياسى فيها فإنّ اللغة الفارسية وآدابها التى كانت لأكثر من ثمانية قرون اللغة الرسمية فى البلاط واللغة الأدبية والعلمية فى تلك البلاد قد تعرضت لمشاكل كبيرة حيث حاول المستعمرون بكل

جدية إحلال لغتهم محل اللغة الفارسية وقد اكتسبت اللغة الأردية أهمية كبيرة إذ كانت نتيجة جهود المسلمين الهنود للحفاظ على حضارتهم ولغتهم وكانت هذه الأيام تمثل نهايات قوة اللغة الفارسية في تلك البلاد. غير أن بعض الأدباء حاول إبقاءها حيّة هناك وذلك بنظم الأشعار الفارسية أو تأليف القواميس بهذه اللغة وبعد كتاب شمس اللغات أحد أهم القواميس في هذا العهد. من جانب آخر كانت بريطانيا لا تستطيع تجاهل نفوذ اللغة الفارسية في الهند ورغم أنها كانت قد وجهت إليها ضربات قاضية في الهند إلا أن اقتضاءات سياساتها وأصول حكمها دفعتها إلى استرضاء الناس ووضع معجم فاخر من الفارسية إلى العربية وأقدمت على طبع شمس اللغات الذي كان يحتوى على مفردات عربية وفارسية وتركية وبهلوية وذلك حسب مشورة جوزيف برنتوجيز البريطاني. «دزفوليان، ٢٠٠٠م: ١١» ومن المعاجم الأخرى التي ألفت في هذه الفترة يمكن الإشارة إلى خزنة اللغات الذي ألفه نواب شاه جهان بيكم حاكم ولاية بهوبال في مجلدين ويشتمل القاموس على المفردات العربية والفارسية والسنسكريتية والانجليزية والتركية. أما المعجم الآخر فهو "هفت قلزم" الذي ألف بين الأعوام (١٢٢٩ و ١٢٣٠ق) وقد ألفه غازي الدين حيدر ويبلغ عدد مفرداته ٢٧٧٠٩ كلمة.

ومن القواميس الأخرى في هذا العصر يمكن أن نشير إلى آصف اللغات في ١٧ مجلداً وأرمغان آصفى في ٨ مجلدات ومعجم غياث اللغات الذي يعتبر معجماً شاملاً للمفردات الفارسية والعربية وكذلك فرهنك نظام في خمسة مجلدات كآخر معجم من الفارسية إلى الفارسية.

«ومن الميزات التي تتصف بها معاجم هذه الفترة يمكن الإشارة إلى شموليتها التي جاءت نتيجة اطلاع مؤلفيها على الثقافات الأوروبية وبعد أن صدر فرهنك نظام فإن التطورات السياسية والأدبية في الهند والباكستان قد منعت صدور أي قاموس جديد من الفارسية إلى الفارسية.» (نقوى، ١٩٦٢م: ٢٦)

النتيجة

إنّ عدم تشجيع الصقويين للأدباء والفنانين أدّى إلى نزوحهم الواسع إلى شبه

القارة الهندية وبالمقابل كان ترحيب الكوركانيين -مغول الهند- للمتحدثين بالفارسية والكتّاب والأدباء الإيرانيين قد أدّى إلى ازدياد وتيرة هذه الهجرة الأدبية. فمنذ هذه الفترة كانت غالبية المدن الهندية ساحة للثقافة والأدب الفارسيين بينما كان الصفيون يهتمون بنشر اللغة التركية وكانت أسماء المناصب العسكرية والإدارية بالتركية فإنّ اللغة الفارسية كانت لغة العلم والأدب والثقافة والسياسة والاستقراطيين في الهند. لاشكّ في أنّ إحدى الفترات التي ليس لها مثل من حيث نشر اللغة الفارسية في الهند هي فترة "مغول الهند" إنّها فترة لا يمكن أن تتكرر غير أنّها لم تجد العناية التي تستحقها رغم الأهمية البالغة التي تحظى بها.

لقد وجدت الفنون الأدبية كالتاريخ والتراجم وتدوين المعاجم والقواميس تشجيعاً منقطع النظير من الحكام الكوركانيين "بخاصة من عصر همايون شاه وحتى عهد اورنك زيب".

ولكون اللغة الفارسية قد انتشرت قبل الكوركانيين في شبه القارة وظلت منتشرة بعد سقوط الإمبراطورية المغولية وسيطرة البريطانيين ردحاً من الزمن لذا فإنّ من الممكن تقسيم تأليف القواميس في الهند إلى ثلاث فترات هي فترة ما قبل المغول والعهد المغولي وفترة ما بعد المغول.

لقد تناول هذا المقال عشرة قواميس تعود إلى العهد المغولي وقد تمّ تأليفها على يد أفراد البلاط أو بأمر من الكوركانيين أو ألف في رقعة حكمهم وخلاصة القول هي أنّ أهم الأعمال المتعلقة بتأليف المعاجم في شبه القارة الهندية قد أنجزت في العهد المغولي لذا فإنّنا نستطيع أن نلاحظ أفضل الأعمال في هذا المضمار خلال العهد المسمى بالعهد المغولي.

المصادر والمراجع

- آموزكار، ژاله. (١٩٩٥م). تاريخ اساطير ايران. ج ١. لاط. طهران: سمت.
 أحمد، ادريس. (١٩٩٨م). «شخصيت علمي و ادبي بابر». مجله تحقيقات فارسى. دهلى: بخش نشریه آمينه ميراث "دوره جديد".
 الاصطخرى، أبو إسحاق إبراهيم. (١٩٥١م). المسالك والممالك. ترجمة ايرج افشار. طهران: لانا.

- باقر، محمد. (۱۹۶۹م). «تأثیر و گسترش زبان فارسی در شبه قاره‌ی هند و پاکستان». ترجمه مجید و هرام. نشریه بررسی‌های تاریخی. السنة ۴. العددان ۲ و ۳.
- حسین قاسمی، میر منصور شریف. (۱۹۹۸م). «نقش زبان فارسی در هند». نشریه نامه پارسی. السنة ۳.
- حکمت، علی اصغر. (۱۹۵۸م). سرزمین هند. طهران: دانشگاه طهران.
- حمزة الاصفهانی، ابو عبدالله بن حسن. (۱۹۶۷م). تاریخ پیامبران و شاهان. ترجمه جعفر شعار. طهران: بنیاد فرهنگ ایران.
- خائفی، عباسی و آخرون، رضا. نفوذ فرهنگ و تمدن ایران باستان در کشورهای شبه قاره. مرکز مطالعات خلیج فارس "النسخة الالکترونیة".
- دبیرسیاقی، محمد. (۱۹۸۹م). فرهنگ‌های فارسی و فرهنگ‌گونه. طهران: اسپرک.
- _____ (۱۹۹۶م). فرهنگ‌های فارسی به فارسی. طهران: آگاه.
- دزفولیان، کاظم. (۲۰۰۰م). «فرهنگ‌نویسی در ایران و شبه قاره هند و پاکستان و بهار بعجم». نشریه شناخت. العدد ۲۷.
- دهخدا، علی اکبر. (۱۹۹۴م). لغت‌نامه. طهران: مؤسسه‌ی لغت‌نامه دهخدا بالتعاون مع دار جامعة طهران للنشر.
- ریاض، محمد. «ادبیات فارسی در شبه قاره هند و پاکستان». هنر و مردم. العددان ۱۵۹ و ۱۶۰.
- سلطانیان، ابوطالب. (۲۰۰۴م). «غزنویان و شالوده‌های فرهنگ ایران در شبه قاره هند». نشریه دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه اصفهان. العددان ۳۶ و ۳۷.
- سلطانی، اکرم. «بررسی شیوه‌های لغت‌نویسی در چند فرهنگ معتبر فارسی». نامه فرهنگستان. ۲/۹.
- سلیمی، مینو. (۱۹۹۸م). روابط فرهنگی ایران و هند. الطبعة الأولى. طهران: مؤسسه چاپ و انتشارات وزارت خارجه.
- صفا، ذبیح‌الله. (۱۹۹۴م). تاریخ ادبیات در ایران. ج ۴. طهران: فردوسی.
- _____ (۱۹۹۴م). تاریخ ادبیات در ایران. ج ۵. طهران: فردوسی.
- علی‌زاده، عزیز. (۲۰۰۴م). «زبان فارسی در هند». چشم‌انداز ارتباطات فرهنگی. العدد ۱۳.
- فاطمه حسینی، سیده بلقیس. (۱۹۹۷م). «دیروز و امروز فارسی. مجله تحقیقات فارسی». دهلی: بخش فارسی دانشگاه دهلی.
- فلاح‌رستگار، گیتی. «افسانه زبان فارسی در هند. نشریه جستارهای ادبی». العدد ۲۸.
- کوشا، کفایت. (۲۰۰۴م). «مهاجرت هنرمندان ایرانی به هند در دوره صفوی». نشریه آینه میراث "دوره جدید". العدد ۲۶.

۹. مطیعی امین، حسین. (۲۰۱۳م). «فرهنگ نویسی در شبه قاره و هویت». کلیات. السنه ۱۶. العدد ۱۶.
- معین، محمد. (۱۹۵۱م). مقدمه برهان قاطع. ج ۱. (مقدمه ب: دیگر زبان‌های ایرانی). طهران: لانا.
- مقدمه لغت‌نامه دهخدا. ج ۱. طهران: چاپ سیروس.
- (۱۹۷۸م). مقدمه برهان قاطع. مصحح. طهران: امیر کبیر.
- تقوی، شهریار. (۱۹۶۲م). فرهنگ‌نویسی فارسی در هند و پاکستان. طهران: وزارت فرهنگ ایران.
- (۱۹۶۰م). «فرهنگ‌نویسی در هند و پاکستان (۱)». نشریه ارمغان. دوره ۲۹. العددان ۴ و ۵.